

الإثنية 2007-11-12

73-.. عن "المصداقية" بالاتفاق

تحدثنا أمس عن المصداقية عامة، تمهيدا للحديث عن المصداقية بالاتفاق consensual validity وهو حديث أصعب، وأخطر، لكن يبدو أنه أهم.

الفكرة الأساسية هي أن الفرض، أو الرأي، أو الموقف، يكون حقيقى وصادق (أى تتحقق مصداقيته) إذا اتفق على صحته أكثر من واحد (بالإضافة إلى صاحبه).

هى مسألة أصعب لأن تعبير "اتفق على صحته" يصعب تقييمه، كما أن صفات ومواصفات المتفقين يصعب تحديدها أكثر

وهى مسألة أخطر لأنها قد تفتح الباب لتصديق آراء وأفكار قد تكون خاطئة، وقد تكون سلبية، وقد تكون ضارة، ثم نعتد بمصداقيتها مجرد الاتفاق عليها

وهى مسألة أهم لأن كثيرا من أحداث التاريخ، بل واستمرار التطور، وربما بقاء الأنواع قد تم بنوع خاص من الاتفاق الذى سمح بهذا البقاء أن يستمر ويتطور.

إذن الذى نقصده بالاتفاق هنا ليس مجرد "إبداء الرأي بالموافقة" أو بتسجيل الأصوات أن نَعَمْ!، وإنما يعنى الاتفاق هنا كلا من: الاتفاق بالمشاركة، الاتفاق بالمواكبة، الاتفاق بالتكافل، الاتفاق بالرأى غير المعلن، الاتفاق بالرأى المعلن.

طبعاً، سوف لا أتناول كل هذه التصنيفات معا فى يومية واحدة،

بداية شخصية

أشرت أول أمس أن البحث فى مكتبتى عن مواد مثرية لكتابة هذه اليومية جعلنى أكتشف أن "...مواضيع ونظريات وآراء" أكون شخصيا قد وصلت فيها مؤخرا إلى فرض أو تصور أو نظرية تصورت أنها جديدة وأصيلة، أكتشف أنها قديمة، وأن هناك من سبقنى إليها بأروع وأدق مما اكتشفته أنا بينى وبين نفسى مؤخرا، فأخجل من جهلى، وأحمد الله أننى لم أسارع بنشر أفكارى هذه حتى لا تبدو أنها سرقة بشكل أو بآخر، ثم أعود أفخر أننى وصلت بنفسى إلى ما سبق أن وصل إليه هؤلاء الرواد الثقة،

3- يا ترى ماذا فعلت الفرص التكنولوجية التواصلية الأحدث في هذا العقل الجمعي (الوعي الجماعي المبدع)؟ هل زادت من فرص نشاطه معاً، ومن ثم من فرص أن "يحمل" بالأفكار الجديدة أفراداً أكثر فأكثر، حتى من الأفراد العاديين فتكون فرص ولادة ما ينفع الناس أكثر فأكثر؟ أم أنها أفسدت تناغم هذا الوعي المعرف الجمعي (العقل البشري الجماعي) بالتركيز حتى الإغراق بتواصل رمزي لفظي ملاحق طول الوقت؟

4- هل توجد علاقة بين احتمالات تكوين الأفكار والنظريات الأصلية المتجددة في رحم هذا العقل الجمعي، ثم ولادتها في أزمان متقاربة (أو إعادة ولادتها في أزمان متباعدة) من خلال بعض الأفراد المتميزين عادة، وبين نظرية "المثل" لأفلاطون (أذكر أن احدهم - ربما أليكسيس كاريل- قال إنه يشك أنه عبر التاريخ لم يفهم جمهورية أفلاطون أكثر من "دسته" من البشر، وأنا أصدقه)

5- هل يمكن أن يطمئننا ذلك إلى أن الكون، بهذا التركيب، يحمل مقومات حفظ الحياة، بفضل الله، فتتقن البشرية ضمناً، في مواجهة كل هذا العيب القاتل الذي تمارسه قوى الانقراض التدميرية الانتحارية الزاحفة من أعلى معظم الوقت؟

وأسئلة أخرى كثيرة، لا أستطيع، أو لا أريد، الإفصاح عنها

اعتذار (نصف نصف)

ولكن ما جدوى كل ذلك في هذه اليومية؟

لست أدري

لا بد أن لها جدوى،

وإلا ما كتبتها هنا الآن.

الوجه السلي

ثم إنني سوف أؤجل الحديث عن الوجه السلي لما أسميته "المصادقية بالاتفاق" التي لا بد وأن تكون سلبية، بل وضارة وخطرة حين يكون الاتفاق زائفاً، أي يفعل فاعله، أي بتأثير مغرض أو أعمى، يشوه الطبيعة البشرية كما خلقها الله. فنحن نعرف - مثلاً- عبثية الديمقراطية المزيفة التي يتبرمج بها مجموعة من الناس فيتفقون على تولية أسوأ من فيهم عليهم،

كما نعرف الإعلام الغاسل لأخاخ البشر حتى يتفقوا على هلاكهم، لصالح هلاك الأثرى فالأثرى!! من خلال عماء الانتحاري،

وأيضاً لا يخفى علينا غياب الاتفاق على استهلاك ما لا لزوم له مجرد الاتفاق على أنه له لزم جداً بفضل الإعلانات،

كل هذا جدير بأن يقلل من غلواننا ومحاسنا لما يسمى المصادقية بالاتفاق "المصنوع".

وفي العلاج الجمعي

في خبرتي في العلاج الجمعي، أثناء الجلسة النشطة، التي تستغرق 90 دقيقة أسبوعياً، وتتكون من مجموعة من 8-10 أفراد غير المعالجين، يحدث التالي: يُطرح رأئ ما، أو يعلن أحد المرضى **موقفاً ما**، أو يبدو على المريض، أو المعالج تعبير جسدي، أو

يلوح في عين أحدنا قول ماء، ونحن في المجموعة لا نتناقش، وإنما نعيش ما نقول بكل اللغات(!!)، لا يوجد: إثبت لي واثبت لك، لا يوجد "بأمارة، وعشان، وبما إن..."،

إذن ما ذا يوجد؟

نروح نعمق هذا التعبير أو نعيش هذا الرأي، ونعرضه على بعضنا البعض، فيصل إلى البعض ولا يصل إلى آخرين، وقد يصل معكوسا إلى بعضنا، فنذكر عكسه، ثم نعيش الاحتمال ونقيضه، ونشارك في القبول والرفض، وننتهي باتفاق نسبي (طبعاً ليس بأغلبية الآراء، وإنما بتحريك رأى جمعي يُخضّر - دون إعلان مباشر - وسط المجموعة ضامًا نشطاً) ثم نأخذ ما اتفقتنا عليه، ليس قضية مسلمة، فنعيد اختبارها، ونرى نتائجها على صاحبه، ثم على المجموعة، ونواصل مسيرة النمو

أعرف أعرف،

وصلني اعتراضك عزيزي القارئ/ الزائر

لتأخذها نكتة إن شئت

لكنها "مصادقية باتفاق المجموعة" على شيء مشترك

على أن "شيئنا" يتم من خلاله النمو فالشقاء

وتظهر نتائجه باضطراد

هل هكذا تم التطور؟

ربما هذا هو ما حدث بين الأحياء على مدى التاريخ الحيوى،

فبإعادة النظر في قوانين ومسار البقاء، انتبه العلماء فالناس إلى أن مسألة البقاء للأقوى ليست هي القاعدة الأولى والأخيرة، وإنما البقاء - أيضا وقبلا - "للأقدر تكافلا"، مع أفراد نوعه، ومع بقية الأنواع.

وأحسب أن اتفاق الأحياء (الباقية) على أن البقاء ممكن ومستمر، قد أعلنت مصادقته لنا نحن البشر، من خلال أننا مازلنا نحيا بين كل هذه الأحياء، مع أننا - مع جميع الأحياء الباقية - لا نمثل إلا واحداً في الألف من كل الأحياء عبر التاريخ، والباقي 99.9% انقرضت.

فأين نضع صراعات الإنسان المعاصر بين كل ذلك؟

وأى "اتفاق" هو الذى يسود الآن،

الاتفاق المصنوع من خارج الطبيعة البشرية لصالح هلاك الانتحاريين الأثرياء العمى، ونحن معهم؟

أم الاتفاق التكافلى الذى يثبت مصادقية أننا "يمكن أن نعيش معاً"؟

هيا!